التفكّر في الظواهر الكونيّة بين البعد الإيماني والوظيفة العلميّة (دراسة قرآنيّة تحليليّة)

Contemplation of Cosmic Phenomena: Between the Faith-Based Dimension and Scientific Function (An Analytical Qur'anic Study)

م.م. زينب عبدالحسين حميد الحسني
كلية الفقه / جامعة الكوفة
Zainaba.alallaq@uokufa.edu.iq

م.م. سارة يوسف كاظم المعمار
كلية الفقه / جامعة الكوفة
sarahy.almimar@uokufa.edu.iq

Asst. Lec. Zainab Abduhussien Hameed Al-Hassani
Faculty of Jurisprudence/University of Kufa

Asst. Lec. Sara Yousef Kazim Al-Ma'mar
Faculty of Jurisprudence/University of Kufa

ملخص

يتناول البحث أهمية التفكر في الظواهر الكونية بوصفه وسيلة لترسيخ الإيمان بالله تعالى، وتنميّة العلم والمعرفة، وذلك من خلال عرض المفاهيم الأساسية المتعلقة بالتفكّر، وبيان الأثرين الإيماني والعلمي المترتبين عليه في ضوء الآيات القرآنيّة.

وقد تناول المبحث الأول المفردات الأساسية: (التفكّر)، و(الظواهر الكونيّة)، كما عَرَض الالفاظ القريبة من التفكر مثل: (النظر، التدبر، التعقّل)

اما المبحث الثاني فقد تألف من مطلبين: تناول المطلب الأول الأثر الإيماني للتفكر في ظواهر الكون، مشيراً الى ان التأمل والتفكّر في خلق السماوات والارض والنفس الإنسانية، وسائر الظواهر الكونية، يعمّق الإيمان ويقوي العقيدة، واستدل البحث بآيات قرآنيّة وتفاسير العلماء التي تربط بين التأمل الكوني والإيمان بالله تعالى.

في حين تناول المطلب الثاني الأثر العلمي، المتمثل في دور التفكّر في تطوير العلوم عبر التأمل والتدبر، موضحاً كيف اسهم التفكّر في توجيه علماء المسلمين لوضع أسس المنهج العلمي، كما اشار الى شهادات بعض علماء الغرب في هذا السياق.

ومن ابرز النتائج التي تم التوصّل اليها ان التفكّر يُعد اساساً لبناء الحضارة الإسلاميّة، ويُحقق التكامل بين الإيمان والعلم، ويُسهم في خدمة الإنسان والمجتمع.

الكلمات المفتاحيّة: التفكّر، الظواهر ، الكونيّة، العلم، الإيمان.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

Abstract

This study investigates the significance of contemplation of cosmic phenomena as a means of strengthening faith in Almighty God and fostering scientific knowledge and understanding. It presents the fundamental concepts related to contemplation, and highlights both the spiritual and scientific impacts it generates in light of Qur'anic verses.

The first section addresses the key terms— tafakkur (contemplation) and cosmic phenomena, while also discussing related concepts such as reflection, meditation, and reasoning.

The second section comprises two subsections: the first focuses on the spiritual impact of contemplating the universe, emphasizing that reflecting on the creation of the heavens and the earth, the human self, and other cosmic phenomena deepens faith and strengthens belief. This is supported with Qur'anic evidence and scholarly interpretations that connect cosmic reflection to belief in God.

The second subsection discusses the scientific impact of contemplation, particularly its role in the advancement of scientific disciplines through reflection and reasoning. It illustrates how contemplation guided Muslim scholars in laying the foundations of the scientific method, and cites testimonies from Western scientists acknowledging this connection.

Among the most significant findings of the research is that contemplation forms the foundation of Islamic civilization, realizes the integration of faith and science, and contributes to the betterment of both the individual and society.

Keywords: Contemplation, Phenomena, Cosmic, Faith, Science.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

مقدمة

يشكّل التفكّر في الظواهر الكونية إحدى الركائز الأساسية في المنظور القرآني لبناء المعرفة الإنسانية، إذ لم يقتصر الخطاب الإلهي على الحثّ التعبدي، بل انطلق أيضًا من منطلق عقلي تأصيلي يُوجّه الإنسان نحو تدبّر الكون بوصفه كتابًا مفتوحًا للقراءة والتأمل. وقد تكرّرت الدعوة إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية في عشرات المواضع في القرآن الكريم، مما يدلّ على مركزية هذا التوجيه في بناء منظومة معرفية متكاملة تجمع بين الإيمان والعلم، وتؤسس لتكامل منهجي بين الوحي والعقل.

من هذا المنطلق، جاء اختيار هذا البحث استجابة لحاجة معرفيّة وروحيّة معاصرة، في ظل ما يشهده العالم من تحديات فكريّة، وتفاوت في النظرة الى العلاقة بين العلم والدين، وقد لُوحِظ أن كثيرًا من الدراسات الحديثة تغفل هذا التكامل، رغم ما للقرآن الكريم من إسهام رائد في هذا المجال.

من هنا، برزت أهمية التطرّق إلى هذا الموضوع من زاوية قرآنيّة تجمع بين التأصيل الإيماني والاستقراء العلمي، للكشف عن أوجه العلاقة المتكاملة بين التفكّر، والإيمان، والعلم.

وقد تم اعتماد المنهج التحليلي الاستقرائي في تناول مادّة البحث، وذلك من خلال تحليل النصوص القرآنية ذات الصلة بالظواهر الكونية، واستنباط الأثرين الإيماني والعلمي منها، مع دعم ذلك بشواهد من التفاسير الإسلامية، وأقوال العلماء، والمقاربات العلمية الحديثة، بهدف بلورة رؤية معرفية شاملة.

ويهدف هذا البحث إلى بيان الأثر العلمي والديني للتفكّر في الظواهر الكونية كما ورد في القرآن الكريم، وإبراز دور هذا التفكّر في ترسيخ العقيدة، وتوليد

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الدافعية نحو البحث والاكتشاف، بما يخدم مشروع النهضة الإسلامية المرتكزة على تكامل العقل والوحي.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الأول: مفاهيم ومنطلقات أساسية في البحث

من الضروري ان نمهّد للبحث بهذا التمهيد ليكون مدخلاً مفيداً ومعيناً للباحث والقارئ على فهم مصطلحات العنوان، وبعض متعلقاته، وقد أشتمل هذا المبحث على مطالب ثلاثة هي :

المطلب الأول: تعريف مفردات العنوان

العنوان في البحث العلمي ليس مجرد إطار شكلي، بل هو إنعكاس لما يحتويه المتن من قضايا وأفكار، ومن هذا المنطلق فإن الوقوف على مفردات العنوان وتبيين معانيها يُعد ضرورة منهجيّة لفهم الإطار العام للبحث، وتحديد نطاقه ومجاله العلمي.

أولاً/ تعريف التفكّر

التفكّر في اللغة

قال الجوهري (٣٩٣هـ): "التَّفَكُّرُ: التأملُ. والاسم: الفِكْرُ والفِكرَةُ. والمصدر الفَكْرُ بالفتح، قال يعقوب: يُقالُ: ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ، أي: ليس لي فيه حاجةٌ، قالَ: والفتحُ فيهِ أفصحُ من الكَسرِ" (الجوهري، ١٤٣٠هـ، صفحة ٨٩٦)، اما في معجم مقاييس اللغة فقد جاء الفكر بمعنى تردُّدُ القلب في الشيء (ظ: ابي الحسين، ١٣٩٩هـ، صفحة ٤/ ٤٤٦).

التفكّر في الإصطلاح

تعددت تعاريف العلماء لمفهوم التَّفكّر فكلٌ يعرفه بحسب اختصاصه العلمي، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات:

عرّف الجرجاني التَّفَكّر بأنّه: " تَصَرُّف القَلْب في معاني الأشياء لدرك المطلوب" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، صفحة ١/ ٦٣)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وقال الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): "الفِكرَةُ قُوة مُطرقةٌ للعلم إلى المَعلوم، والتَّفكّر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دُون الحيوان، ولا يُقال إلا فيما يُمكِن أن يحصُل له صورة في القلب" (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢هـ، صفحة ٦٤٣). نلاحظ هنا ان الاصفهاني يميّز بين التفكّر والفكرة، حيث يرى ان التفكّر هو حركة الفكرة وتنقلها في المعاني وهذا يضيف بعدًا فلسفياً ومعرفياً.

ثانياً/ تعريف الظواهر الكونيّة

الظواهر الكونية مصطلح مركب و للوصول إلى معناه الدقيق وتحديد المقصود به علينا أن نقف على معاني مفرداته وهي: (الظواهر) و(الكونية).

أولاً: تعريف الظاهرة

الظاهرة في اللغة: الظاهرة مفرد وجمعها ظواهر، وتعود جذور كلمة (ظاهرة) إلى الظاء والهاء والراء والتي تدل على قوةً وبروز (ابي الحسين، ١٣٩٩هـ، صفحة ٣/ ٤٧١)

الظاهرة في الاصطلاح: تُعرف الظاهرة اصطلاحاً على أنها: "موضوعٌ ذو وجود خارجي حقيقي بصرف النظر عن صلته بالذهن، ولكل علم ظواهره التي يدور بحثهُ حولها" (مجمع اللغة العربية، ١٤٩٤م، صفحة ٤٠٢).

ثانياً: تعريف الكون

الكون في اللغة: الكونية تأنيث الكَوْني، والكَوْني: نسبة إلى الكون، وجاء في لسان العرب: " الكَوْنُ: الحَدَثُ، وَقَدْ كانَ كَوْناً وَكَيْنُونَةً، ... وَكَوَّنَ الشَّيء: أَحْدَثَهُ، وَاللهُ مُكوّنُ الأَشْياءِ يُخْرِجُها مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُود..." (ابن منظور، ١٩٩٩م، صفحة ٣٩٥٩ ـ ٣٩٦٠) .

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الكون في الاصطلاح: جاء في الموسوعة العربية العالمية:" الكون مصطلح يستعمل في الفيزياء، وفي الفلك ليشير إلى كل شيء موجود، من أصغر الذرات إلى أكثر الأجرام الفلكية بعداً" (مجموعة من المؤلفين، ١٤١٩هـ، صفحة ٢٠/ ٢٨٥). وجاء في المعجم الفلسفي: " ... أن مفهوم الكون يدل على الحجم النسبي لمساحة الفضاء الزمكاني (الزماني والمكاني) الذي تتواجد فيه المخلوقات العاقلة وغير العاقلة، وهذا كالنجوم والمجرات والكائنات الحية" (حسيبة، ٢٠٠٩م، صفحة ٥١٤).

وبعد بيان معنى كل من لفظة (الظاهرة) ولفظة (الكون) نقول ان المراد بالظواهر الكونية في هذا البحث هي الظواهر المنسوبة إلى الكون بنوعيها الأعيان (الأعيان: ما له قيام بذاته، ومعنى قيامه بذاته أن يتحيَّز بنفسه غير تابع تحيُّزه لتحيُّز شيء آخر.) والأعراض(الأعراض: هي التي لا يصح بقاؤها، وهي التي تعرض في الجواهر والأجسام.)، فالظواهر الكونية إما أن تكون من الأعيان كالنباتات والحيوانات والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وإما أن تكون من الأعراض كالبرق والرعد والمطر والسحاب والخسوف والكسوف وغير ذلك.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المطلب الثاني: نظائر التفكّر او الألفاظ القريبة منه

إن كل من يقرأ القرآن الكريم ويدقق في كلماته سيلاحظ وجود بعض الألفاظ قريبة في معناها من التفكر، أي انها تجتمع معه في شيء وتفترق في آخر ولا يمكن اعتبارها مرادفة له بشكل تام وذلك لان كل كلمة في القرآن لها مدلولها الخاص بها ولولا ذلك لما قِيلت تلك الكلمة.

أولاً: النظر

النَّظَرُ في اللغة: "تأمل الشيء بالعين" (الجوهري، ١٤٣٠هـ، صفحة ١١٤٨)، أو"الفِكرُ في الشيء تُقَدِّرُهُ وتَقِيسُهُ" (الفيروزآبادي، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٦٢٣)

النَّظَرُ في الاصطلاح: "تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد به التأملُ والفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص" (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢هـ، صفحة ٨١٢)، وجاء في المعجم الشامل:" النظر كالفكر فعل صادر عن النفس لاستحصال المجهولات من المعلومات، والمجهول لا يكتسب من كل معلوم على أي وجه كان، بل لا بدّ من معلومات مناسبة وترتيب معين فيما بينها، وهيئة عارضة لها بسبب ذلك الترتيب" (سرور، ١٤٢٩هـ، صفحة ٦٩٧).

ويُطلق النظر في القرآن الكريم ويُراد به معانٍ مختلفة والذي يهمنا هنا هو النظر القلبي أو النظر بمعنى الاعتبار، وقد ورد هذا المعنى في عدّة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يونس، آية ١٠١). وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.(سورة طارق: آية ٥). وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.(سورة الأعراف: آية ١٨٥).

ثانياً: التدبَّر

التدبَّر في اللغة: جاء في الصحاح:" التدبير في الأمر: أن تَنْظُرَ إلى ما تَؤُول إليه عاقِبتُه. والتدبَّر: التفكر فيه" (الجوهري، ١٤٣٠هـ، صفحة ٣٥٩).

التدبَّر في الاصطلاح: قال الجرجاني التدبّر:" عبارة عن النَّظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التَّفكر إلا أن التَّفَكُّر تَصرُّف القلب بالنَّظر في الدليل، والتَّدبر: تصرُّفه في العواقب" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، صفحة ٤٩).

وقال الرازي (ت ٦٠٤هـ): "التدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وادبارها" (فخر الدين الرازي، ١٩٨١م، صفحة ١٠/ ٢٠٢). وقد ورد لفظ (التدبّر) في القرآن الكريم بهذا المعنى في مواضع أربعة هي:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: آية ٨٢).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد: آية ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: آسية ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة المؤمنون: آية ٦٨).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

ثالثاً: التذكّر

التذكّر في اللغة: جاء في لسان العرب " التَّذَكُّر: تذكر ما أُنسِيتُه. وذَكَرتُ الشيء بعد النسيان وذَكَرتُه بلساني وبقلبي وتَذكَّرتُه وأَذكَرتُه غيري وذَكَّرتُه بمعنى" (ابن منظور، ١٩٩٩م، صفحة ٥/ ٤٩).

التذكّر في الاصطلاح: " محاولة استرجاع الصورة المحفوظة إذا زالت عن القوة العاقلة، أو تحصيل علم أو معرفة إن كان المعلوم بهما زمانياً، وكانا فيما مضى" (سرور، ١٤٢٩هـ، صفحة ٢/ ٥١٨) .

و دعا القرآن الكريم الى التذكّر في الكثير من الآيات منها: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الاعراف: آية ٥٧). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس: آية ٣).

وقد فرّق البحراني بين التذكّر والتفكّر فقال: "التذكّر هو طلب معنى قد كان حاضراً للنفس، والتفكّر طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضراً للنفس" (البحراني، ١٤٣٠هـ، صفحة ٣٩)، وقال ابن القيّم: "كلٌّ من التذكّر والتفكّر له فائدة غير فائدة الآخر. فالتذكّر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملةً، والتفكّر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب، فالتفكّر يحصّله والتذكّر يحفظه" (ابن القيّم، ١٤١٩هـ، صفحة ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

رابعاً: التعقّل

التعقّل في اللغة: " العَقْل في اللغة: هو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل، وقال الخليل: العَقل: نقيض الجهل. يقال عَقَل يعقِل عَقْلا، إذا عرَفَ ما كان يجهله قبل، أو انزجَر عمّا كان يفعلُه، وجمعه عقول" (ابي الحسين، ١٣٩٩هـ، صفحة ٤/ ٦٩).

التعقّل في الاصطلاح: هو" التدبر، وتعقلت الشيء تدبرته" (المناوي، ١٩٩٠م، صفحة ١٢٠).

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تحث على إعمال العقل، لأن ثمرة العقل هي العمل الذي يقوم فيه، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: آية ١٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة النحل: آية ٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الجاثية: آية ٥).

ومن خلال هذا الاستعراض لبعض نظائر التفكّر والآيات التي وردت فيها يتبين لنا انها تدل على معانٍ متقاربة تجتمع مع التفكّر بشيء وتفترق بآخر، فكلها عمليات عقلية ولكن لكل منها خاصية تميزها عن الأخرى.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الثاني: الأثر الإيماني والعلمي للتفكّر في الظواهر الكونيّة

الأثر في اللغة: جاء في لسان العرب: "الأَثَرُ: بَقِيَّةُ الشَّيء، والجَمْعُ آثارٌ وأُثُورٌ. وخَرجْتُ في إِثْرِهِ أي بَعدَهُ. وأَتَرْتُهُ وتأَثّرتُهُ: تتبَّعتُ أَثَرَهُ" (ابن منظور، ١٩٩٩م، ٥/١). اما في القاموس المحيط فجاء الآثار بمعنى الأعلامُ (ظ: الفيروزآبادي، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٧).

الأثر في الاصطلاح: قال الجرجاني (٤٧١هـ):"الأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجُزْء. والآثار هي اللوازم المعلَّلة بالشيء" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، صفحة ١١)

يظهر مما سبق ان لفظ (الأثر) يحمل دلالات متعددة، منها ما هو حسي مادي، ومنها ما هو معنوي كالنتائج والمترتبات العقليّة او النفسيّة، وان هذا التنوّع في الدلالة يُعكس سعة المفهوم، وفي سياق هذا البحث يُراد بالأثر ما يترتب على التفكّر في الظواهر الكونيّة من نتائج روحيّة او علمية.

من هذا المنطلق يمكن القول ان التفكّر في الظواهر الكونيّة جاء ليؤدي وظائف متعددة يمكن حصرها في المجالين الإيماني والعلمي فضلاً عن وجود آثار أخرى فرعيّة منبثقة من هذين المجالين، اي إن التفكّر يرسخ الإيمان بالله تعالى، والذي يؤمن بالله تعالى لا شك سوف يتأثر ويحاول ان يجعل أفعاله واقواله في أطار التعليمات الإسلامية، كاجتناب الكذب والغش والسرقة وغيرها من المحرمات، والأمر بالمعروف وإعطاء الصدقات وتحلّي بالأخلاق الحسنة وغيرها، وكذلك تطوّر العلوم الناتج من التفكّر يؤدي ثمار او آثار أخرى كالاستفادة الفعلية من العلوم وتطبيقاتها وتسخيرها لخدمة الإنسان.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المطلب الأول: الأثر الإيماني

من ابرز الوسائل التي حثّ عليها القرآن الكريم لتزكيّة النفس وإيقاظ القلب، التفكّر في الظواهر الكونيّة، فالتفكّر عبادة عقليّة وروحيّة، تُعزز صلة الإنسان بربه، وتوجهه الى شكر النعم ، وتعمّق ايمانه.

ومن هنا فإن الأثر الإيماني للتفكر يمثل مدخلاً مهماً لفهم العلاقة بين العقل والإيمان، فيُسهم ذلك في بناء وعي ايماني راسخ قائم على ادراك الظواهر الكونيّة.

وقد تنوعت الآيات القرآنيّة في طرحها للظواهر الكونيّة، فجاء ذكر السموات والارض، والجبال والانهار، والسحاب والرياح والمخلوقات وغيرها، وهذا لم يكن لمجرد الوصف والاعجاب بل ليكون مدخلاً للإيمان ليستدل من خلالها على وجود الله تعالى، سنلاحظ ذلك من خلال ذكر مجموعة من الآيات القرآنية التي تدعو الى التفكر في الظواهر الكونية مع الإشارة الى الأثر الايماني:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (سورة آل عمران: ١٩٠)، في تفسير هذه الآية يذكر النّقوي ان في خلق الظواهر الكونية من السماء والارض والليل والنهار وغيرها عجائب لا يصل اليها العقل الإنساني ومع ذلك أمر الله تعالى بالتفكّر فيها في كثير من الآيات القرآنية؛ لأن ما لا يُدرك كله لا يترك كلّه، وان توحيد العوام لا يحصل إلا من دلالة الآثار على وجود المؤثر، ومن الآثار العظيمة المحسوسة وجود السموات والارض وما فيهما، لذلك أمرنا الله تعالى بالتفكّر والتدبر فيها (النقوي، ١٤٣٨هـ، صفحة ٤/ ٣٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات: ٢٠ ـ ٢١). اي في الارض دلالات وحُجج للذين ينظرون فيها فيحصل

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

لهم العلم بموجبها، ثم الا يرون اعاجيب انفسهم وتحولها من حال الى حال، كل ذلك دال على كمال قدرة الله وحكمته (الطبرسي، ١٤١٥هـ، صفحة ٩/ ٢٦٠).

في هذه الآية دعوة الى التفكّر في ظواهر الارض، فضلاً عن التفكّر والنظر في نفس الإنسان، فإن هذا التفكر يُوصل الإنسان الى توحيد الله وعبادته وطاعته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة الجاثية: ٣ـ٤). ذكر الطبرسي ان الآية الكريمة تؤكّد ان في السموات والارض حجج وعلامات دالة على ان لها خالقا قادراً عالماً، وفي خلق الإنسان بدائع وعجائب، كل هذا لقوم يطلبون اليقين بالتأمل والتفكّر (الطبرسي، ١٤١٥هـ، صفحة ٩/ ١٢١)، اي ان هذه الآية تشير الى ان التفكّر يُعدّ مفتاحاً لليقين والإستعداد الروحي لتلقي دلائل توحيد الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: آية ٥٣). فمعنى في الآفاق الزلازل والكسوف وما يعرض في السماء من ظواهر ، واما في أنفسهم فمرة بالجوع ومرة بالعطش ومرة يشبع ومرة يروى ومرة يستغنى واخرى يفتقر ومرة يرضى واخرى يغضب فهذا كله من عظيم دلالة الله على التوحيد (القمّي، ١٣٨٧هـ، صفحة ٢/ ٢٦٧).

وقال حيدر الآملي عند تفسيره لهذه الآية : إنّه يقول لعباده المخلصين: سنكمل عين بصيرتكم بنور عنايتنا وهدايتنا ليحصل لكم بذلك استعداد مطالعة آياتنا الآفاقيّة والأنفسيّة وقابليّة مشاهدتنا العيانيّة في ضمن كلّ واحدة منها ويتبين لكم انّه ليس في الوجود غيرنا وغير أسمائنا وصفاتنا وأفعالنا لأنّ غيرنا ليس إلّا العدم المحض واللّاشيء الصّرف (الآملي، ١٤٢٨هـ، صفحة ٢/ ٥٢٢).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

يظهر في هذه الآية ان هناك وعدا من الله تعالى بإن التفكر في الكون وما فيه من ظواهر سيقود حتماً الى الإعتراف بالدين الإسلامي، مما يُعزز اليقين ويثبت العقيدة.

وقد أشار كثير من العلماء الى ان التفكّر في الكون وما فيه من ظواهر يقود الى استنتاجات عقليّة حول وجود خالق قادر حكيم، اذا يقول الشيخ جعفر السبحاني: "إن برهان النظم يقوم على مقدمتين : إحداهما حسية ، والأخرى عقلية، أما الأولى : فهي أن هناك نظاما سائدا على الظواهر الطبيعية ... وأما الثانية : فهي أن العقل بعد ما لاحظ النظام وما يقوم عليه من المحاسبة والتقدير والتوازن والانسجام ، يحكم بالبداهة بأن أمرا هكذا شأنه يمتنع صدوره إلا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة وقصد يعرفها الإنسان..." (السبحاني، د.ت، صفحة ٢/ ١٧).

وفي موضع آخر تقول المستشرقة زيغريد هونكه: "... كان محمد (صلّ الله عليه وآله وسلم) يرى في تعميق أتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة للتعرف على قدرة الخالق، وكان يرى ان المعرفة تنير طريق الإيمان" (هونكه، ١٩٨١م، صفحة ٣٦٩)، يُعد قول المستشرقة دقيقاً في الربط بين المعرفة والإيمان، ويتفق مع جوهر الرسالة القرآنيّة التي حثت على التفكّر في المخلوقات بأنواعها السماوية والارضية.

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ٢٠﴾ (الرحمن: ١٩ ـ ٢٠).

يرى الطباطبائي ان المراد من الآيتين هو: خلط البحرين العذب الفرات والملح الاجاج حال كونهما مستمرين في تلاقيهما بينهما حاجز لا يطغيان بأن يغمر

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

احدهما الآخر فيذهب بصفته من العذوبة والملوحة فيختل نظام الحياة والبقاء. (ظ: الطباطبائي، ١٤١٧هـ، صفحة ١٩/ ١٠٤).

وأعلن العالم الفرنسي (جاك كوستو) انه أكتشف وجود حاجز بين بحرين مالحين يختلف في تركيبه عن تركيب كل من البحرين، ولكنه اندهش عندما أخبره علماء العرب ان هذه الظاهرة ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة وبشكل جلي واضح، عندئذ قال: "إذا كان هذا حقاً قد وجد في القرآن فأشهد أن هذا لا يكون إلا من عند الله وأن محمداً هو رسول الله" (شيخ البستانة، ١٤٢٥هـ، صفحة ١٠٨).

تبيّن مما سبق ان عملية التفكّر في الظواهر الكونيّة ليس مجرد عمليّة عقليّة، بل هي سبيل لتعزيز صلة الإنسان بخالق هذا الكون وإدراك ابداعه وعظمته، فكل ظاهرة كونية تحمل رسالة إيمانيّة تدعو للتفكّر والتأمل، وتغرس في النفس الطمأنينة والخشوع، ومن هنا فالتفكّر في هذه الظواهر يُعد عبادة قلبيّة تُساعد على ترسيخ اليقين وتقوية العقيدة.

المطلب الثاني: الأثر العلمي

لقد دعا القرآن الكريم الإنسان الى التفكر والنظر في الظواهر الكونية بانواعها السماوية والارضية، وهذا التفكر يؤدي الى الوعي العلمي الذي يحفر العقل على البحث والاكتشاف، وبالتالي يسهم التفكّر في تطوير العلوم والمعارف. ومن هذا المنطلق كان وما زال القرآن دافعاً لكثير من العلماء الذين نظروا في الكون بعين الباحث المستنير فأسسوا علم الفلك، والطب، والرياضيات وغيرها.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

ويرى الغزالي ان ثمرة التفكّر تكثير العلم وتوسيع المعرفة التي بدورها تنتج معارف أخرى، فالمعرفة نتاج المعرفة، فإذا حصلت معرفة جديدة أدت الى معرفة اخرى، وهكذا يمتد النتاج ويمضي الفكر الى غاية بعيدة (ظ: الغزالي، د.ت، صفحة ٤/ ٥١٦). وهذا يدل على ان التفكّر لا يقتصر أثره على البعد الإيماني والروحي فقط بل يمتد ليشمل الأثر العلمي، وسنرى ذلك من خلال ذكر مجموعة من الآيات القرآنية والشواهد الواقعيّة التي توضّح لنا الآثار العلمية الناتجة عن التفكّر في الكون وما فيه من مخلوقات.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (الغاشية: ١٧ـ ١٩). ذكر المفسرون ان الله تعالى دعا الى التأمل والنظر في خلق الأبل دون غيرها؛ لتميزها بخصائص معينة منها: الإستفادة منها من جوانب عدة منها اللحم واللبن والركوب والحمل، وقدرتها الجسدية الكبيرة، وقابليتها على تحمل الجوع والعطش، فهذه الخصائص تدفع الإنسان الى التفكّر فيها والاعتراف بعظمة وقدرة خالقها، ثم انتقل الى السماء فقال أفلا ينظرون الى السماء كيف رفعت رفعاً بعيد المدى بلا مسَّاك وبغير عَمَد، وكذلك الجبال كيف نصبت نصباً ثابتاً لا يزول. (مكارم الشيرازي، ١٤٣٤هـ، صفحة ٢٠/ ١٥٨ ـ ١٥٩) (الطبرسي، ١٤١٥هـ، صفحة ٣/ ٧٧٦)، وفي موضع آخر يصف الله تعالى الجبال بقوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: آية٧).

وعندما قرأ عالم الجيولوجيا (ليونارد انجل) هذه الآية قال: " إنه وصف في غاية البلاغة، وفي غاية الإعجاز، لأنه بلفظة واحدة وصف كلاً من الشكل الخارجي والامتداد الداخلي والوظيفة، حيث وصف كلاً من النتوءات الخارجية البارزة من الجبال وامتداداتها الداخلية ودورها الحقيقي كوسيلة للتثبيت" (شيخ البستانة،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

١٤٢٥هـ، صفحة ١٣٤). وهذا يبيّن ان الوصف القرآني للجبال كان مصدر إلهام ومراجعة نقديّة للحقائق العلميّة الحديثة.

بالإضافة إلى ذلك فقد حثّ الإمام الصادق (عليه السلام) على النظر في الجبال وبيّن منافعها، فقال: ((انظر يا مفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة: فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه، ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وينبت فيها ضروب من النباتات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل،...)) (الجعفي، ١٤٠٤هـ، صفحة ٩٧).هذا النص يعكس تأملاً علمياً دقيقاً يمكن ان يكون من بوادر(الوعي العلمي الكوني) في التراث الإسلامي، وهذا يثبت ان التفكّر في الظواهر الكونيّة دائماً يكون دافعاً للتساؤل والمعرفة والاكتشاف، فضلاً عن ذلك فإن هذا الوصف من الإمام يظهر السبق الإسلامي في ربط الإيمان بالعلم من خلال التفكّر والتأمل العقلي.

ويتضح ممّا تقدّم ان الله سبحانه وتعالى دعا بأسلوب الاستفهام الإنكاري الى النظر والتفكّر في خلق الإبل، من جهة الوظيفة والخصائص والبنيّة، وهذا مبدأ أساسي في العلوم التشريحيّة والبيولوجيّة، وهذا التفكّر يمهد الطريق الى تطوير علم التشريح وعلم الهندسة البيولوجية، وكذلك دعا الى التفكّر في كيفيّة رفع السماء وطبيعتها، وطبيعة الجبال وفوائدها.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ، وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الرعد: ٢ .٣)، هذه الآيات القرآنية تشير الى وجود قوانين دقيقة كانت سبباً في توازن الكون، اي ان هناك نظام يحكم الظواهر الفيزيائية، ومن هذا المنطلق فقد كان التأمل في توازن الكون دافعاً لكثير من العلماء لوضع أسس المنهج الجريبي وتحليل الضوء، ومن هؤلاء ابن الهيثم الذي اصبح رائداً في علم البصريات وهو أساس من أسس علم الفيزياء الحديثة (الزركلي، ١٩٨٠م، صفحة ٢/ ١٩٩).

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢)، إن تصدّع الأرض وتمدّدها هو اليوم من الثوابت العلميّة الأساسيّة المعتمدة في شرح نشأة القارّات والبحار والجبال والبراكين والزلازل وتكوّنها وانتشار الأحياء ، كما أن توسّع الكون هو أيضا ثابتة علميّة أساسيّة هي المعتمدة في شرح نشأة الكواكب والنجوم والمجرّات . وفي هذه الآيات وغيرها قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الثوابت العلميّة.

وفي ذلك يرى عدنان الشريف أن القرآن الكريم هو أوّل من قال بتوسّع الكون وتصدّع الأرض ، وإذا أهملت أكثر المراجع العلميّة هذه الإشارة حتى الآن ، فالسبب في ذلك يعود إلينا لأننا لم نبيّن للمجتمعات العلميّة ولم نعمّم عليها هذه الثوابت العلميّة القرآنيّة الإعجازيّة في العلوم المادّيّة. (الشريف، ١٩٩١م، صفحة ٢٩ ـ ٣١).

قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١). قال الشوكاني في تفسير هذه الآية ان المراد منها في انفسكم آيات تدل على وحدانية الله تعالى، فإن الله تعالى خلقكم من نطفة ثم تمرون بمراحل ثم ينفخ فيكم الروح، وبعد ذلك

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

تختلفون من حيث صوركم وطبائعكم وألسنتكم وألوانكم، أفلا تبصون بعين البصيرة فتستدلون بذلك على الخالق المتفرد بالألوهيّة (الشوكاني، ١٤١٤هـ، صفحة ٥/ ١٠٢).

وان دعوة القرآن الى النظر والتفكّر في خلق الإنسان كانت سبباً في نشأة وتطوّر علم الاحياء، فمن نتائج التفكّر العلمي في خلق الإنسان برع العلماء (كالزهراوي، والدمشقي) في دراسة تشريح الإنسان، وبيان وظائف اعضائه، وكان ذلك من خلال الملاحظة والتجريب (حسّان، ٢٠١٠م، صفحة ١٣٤).

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ٦٩﴾ (النحل: ٦٨ ـ٦٩). جاء في مختصر تفسير الميزان: "(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) إلهاماً عن طريق الغريزة (أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) أي ما يبنون لبيوت العسل وذكر أنوثة عاملات النحل والعنكبوت مما سبق إليه القرآن، (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فهي تأكل من الأزهار من مواد الثمرات في بواكير تشكل الثمار (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) فارجعي إلى بيوتك لتودعي ما هيأت من العسل بالسبل المسخرة لك (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا) أي بطون النحل (شَرَابٌ) هو العسل (مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ)من الأبيض إلى الأحمر وإلى ما يميل إلى السواد(فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) من كثير من الأمراض(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فأمر النحلة عجيب، يتضمن دقائق عجيبة لا تنكشف إلا بالإمعان في التفكّر، فهي آية للمتفكرين" (شاكر، ١٤٢٥هـ، صفحة ٣٢٧).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

بعد التفكّر بما يصنعه النحل من عسل توصلّ العلماء الى ان للعسل خواص علاجية كثيرة أبرزها: يستعمل لعلاج ورم الفم والعين واللسان، ومعالجة الإرهاق، وتشقق الجلد، ويستعمل ايضاً لطول العمر، وصناعة أدوية لتلطيف الجلد وللتجميل وغيرها الكثير (مكارم الشيرازي، ١٤٣٤هـ، صفحة ١٣/ ٩١)

ومن خلال ذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أشار الى حياة النحل المدهشة بألفاظ دقيقة وموجزة لا يفهمها إلا من تفكّر وتدبّر، لذلك خُتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) والنحل نعمة من نعم الله، وللتفكر في هذه النعمة آثار منها: استثمار النعمة والاستفادة منها لأنها مسخرة لخدمة الإنسان، وكذلك من تفكّر فيها سيشكر الله ويزداد حباً له، لأن النفس الإنسانية مجبولة على حُب من أنعم عليها وأحسن إليها، فضلاً عن ذلك فقط كان لذكر النحل في القرآن الكريم ابعاداً علميّة ودلالات عميقة أثرت تأثيراً كبيراً في مسار البحث العلمي في علم الأحياء والسلوك الحيواني.

وبعد بيان الأثر العلمي يظهر ان التفكّر في الظواهر الكونيّة كان أساساً لحركة علميّة كبرى نشأت في ظل الحضارة الإسلاميّة، وولدت منها علوم الفلك والطب والفيزياء وغيرها، وهذا يدل على ان القرآن مصدر علم ومعرفة شاملة تهدي الى الحق والخير في كل زمان ومكان.

تؤكد المستشرقة هونكه بأن العالم (باكون) و(جاليليو) وغيرهم من علماء الغرب ليسوا هم من وضعوا أسسوا البحث العلمي كما زعم الغرب، إنما السابقون في هذا المضمار كانوا من المسلمين وفي مقدمتهم ابن الهيثم، فهو المؤسس الحقيقي لعلم الفيزياء الحديث، واستطاع ان يصل الى هذه المرتبة عن طريق التأمل النظري في الكون وظواهره. (بدري، ١٤١٥هـ، صفحة ٢/ ١١٠)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

إضافة الى كل ما تقدّم من الآيات القرآنية، هناك كثير من الأحاديث الشريفة دعت الى التفكّر وإشارات الى آثاره ومن ذلك:

قال الإمام الرضا (عليه السلام):((ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله عز وجل)) (الكليني، ١٤٠٧هـ، صفحة ٢/ ٥٥)، هذا الحديث يبيّن ماهيّة العبادة، فهي لا تنحصر في الممارسات الظاهرة كالصلاة والصوم، وإنما تمتد الى التفكّر الذي يوقظ العقل والقلب. وقال الإمام علي (عليه السلام): ((إن التفكر يدعو إلى البر والعمل به)) (الكليني، ١٤٠٧هـ، صفحة ٢ / ٥٥) في هذا الحديث يبرز الإمام البعد التطبيقي للتفكّر، فهو ليس تأملاً مجرداً بل وسيلة للصلاح والخير.

وأخيراً، لابدّ من بيان حكم هذا التفكّر، فقد ذكرت العديد من المصادر الفقهية ان هذا النوع من التفكّر جائز بل مستحب اي ان التفكّر في عجائب صنع الله وبدائع أمره في خلقه، فإنّها تدلّ على جلاله وكبريائه وعظمته. وتدلّ أيضاً على حكمته وعلمه وعلى نفاذ مشيئته وقدرته ، وهذا هو تفكّر اولي الألباب. (الفيض الكاشاني، ١٤٠٦هـ، صفحة ٤/ ٣٨٣) و (المجلسي، ١٤٠٤هـ، صفحة ٧/ ٣٤١).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

الخاتمة والنتائج

١) ساعد التفكّر في بناء الحضارة الإسلاميّة من حيث كان اساساً في نشوء بعض العلوم، كالجبر والبصريات، وهذا يؤكد العلاقة بين التفكّر الكوني والتقدّم العلمي.

٢) ان الجمع بين الأثر الإيماني والعلمي الناتجين من التفكر في الظواهر الكونيّة يؤسس لتكامل معرفي ينسجم مع مقاصد الدين الإسلامي في بناء الإنسان روحياً وفكرياً، وهذا ما يُعرف اليوم بالتربية المتكاملة، التي تهدف الى بناء الفرد نفسياً وقيميّاً ومعرفياً.

٣) يقود التفكّر في الظواهر الكونية الى معرفة الله والإيمان به وهو اساس الإيمان البرهاني، فضلاً عن آثار أخرى يانعة ممتعة ساميّة، منبثقة من الأثر الإيماني، كالالتزام بتعاليم الإسلام، واجتناب المحارم، وشكر النعم وغيرها.

٤) للتفكّر دور كبير في التوظيف الحضاري، اي تسخير نتائج التفكّر لخدمة الفرد والمجتمع، كحل ازمات البيئة والطاقة والأمن الغذائي.

٥) يُسهم التفكّر في ظواهر الكون في تنميّة المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج، وهذا يُعزز روح البحث والابتكار، ويفتح آفاقاً للتقدّم العلمي.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (خير ما يبدأ به)

١. ابراهيم حسين سرور. (١٤٢٩هـ). *المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية* (الإصدار ط١). دار الهادي.

٢. أحمد عزت شيخ البستانة. (١٤٢٥هـ). *علماء الغرب ومفكروه ما الذي وجدوه في الإسلام والقرآن.*

٣. أحمد فارس ابي الحسين. (١٣٩٩هـ). *معجم مقاييس اللغة.* (عبدالسلام محمد هارون، المحرر) دار الفكر.

٤. اسماعيل حمّاد الجوهري. (١٤٣٠هـ). *الصِحاح.* (محمد محمد تامر، المحرر) القاهرة: دار الحديث.

٥. الحسين محمد الراغب الاصفهاني. (١٤١٢هـ). *المفردات في غريب القرآن.* (صفوان عدنان الداودي، المحرر) دار القلم.

٦. الطوسي، و محمد عبدالله الطوسي. (١٤٠٠). *الكافي* (المجلد ٥). (محمد علي، المحرر) لبنان: مركز الفكر.

٧. الفضل الحسن الطبرسي. (١٤١٥هـ). *مجمع البيان.* بيروت: مؤسسة الأعلمي.

٨. المفضل الجعفي. (١٤٠٤هـ). *توحيد المفضّل* (الإصدار ط٢). بيروت: مؤسسة الوفاء.

٩. جعفر السبحاني. (د.ت). *محاضرات في الالهيات.* مؤسسة الإمام الصادق (ع).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

١٠. حيدر علي الآملي. (١٤٢٨هـ). *تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم*. قم.

١١. خير الدين الزركلي. (١٩٨٠م). *الأعلام*. بيروت: دار العلم.

١٢. زيغريد هونكه. (١٩٨١م). *شمس العرب تسطع على الغرب*. (فاروق بيضون، و كمال دسوقي، المترجمون) بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٣. زين الدين محمد المناوي. (١٩٩٠م). *التوقيف على مهمات التعاريف*.

١٤. شمي الدين محمد ابن القيّم. (١٤١٩هـ). *مفتاح دار السعادة ونشور ولاية العلم والإرادة*. بيروت: دار الكتب العلميّة.

١٥. عبدالله جسّان. (٢٠١٠م). *العلم في الإسلام وتأثيره في الحضارة الغربيّة*. بيروت: دار الجيل.

١٦. عدنان الشريف. (١٩٩١م). *من علم الفلك القرآني*. دار العلم.

١٧. علي ابراهيم القمّي. (١٣٨٧هـ). *تفسير القمّي*. (طيب الموسوي، المحرر) النجف الاشرف: مطبعة النجف.

١٨. علي محمد الجرجاني. (١٤٠٣هـ). *معجم التعريفات*. (محمد صديق المنشاوي، المحرر) دار الفضيلة.

١٩. كمال مصطفى شاكر. (١٤٢٥هـ). *مختصر تفسير الميزان*. مؤسسة الاعلمي.

٢٠. مالك بدري. (١٤١٥هـ). *التفكّر من المشاهدة الى الشهود* (الإصدار ط٤). الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

٢١. مجد الدين محمد الفيروزآبادي. (١٤٢٩هـ). *القاموس المحيط*. (انس محمد، و زكريا جابر، المحررون) القاهرة: دار الحديث.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

٢٢. مجمع اللغة العربية. (١٤٩٤م). *المعجز الوجيز*. القاهرة.

٢٣. مجموعة من المؤلفين. (١٤١٩هـ). *الموسوعة العربية العالميّة*. مؤسسة أعمال الموسوعة.

٢٤. محمد الغزالي. (د.ت). *احياء علوم الدين*. دار الكتب العلميّة.

٢٥. محمد باقر المجلسي. (١٤٠٤هـ). *مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول* (الإصدار ط٢). طهران: دار الكتب الإسلاميّة.

٢٦. محمد تقي النقوي. (١٤٣٨هـ). *ضياء الفرقان في تفسير القرآن*. دار الكتب الإسلاميّة.

٢٧. محمد حسين الطباطبائي. (١٤١٧هـ). *الميزان في تفسير القرآن*.

٢٨. محمد علي الشوكاني. (١٤١٤هـ). *فتح القدير*. بيروت: دار الكلم الطيّب.

٢٩. محمد عمر فخر الدين الرازي. (١٩٨١م). *تفسير الفخر الرازي* (الإصدار ط١). دار الفكر.

٣٠. محمد محسن الفيض الكاشاني. (١٤٠٦هـ). *الوافي*. (ضياء الدين الحسيني، المحرر) ايران: مكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع)

٣١. محمد مكرم ابن منظور. (١٩٩٩م). *لسان العرب* (المجلد ١). دار إحياء التراث العربي.

٣٢. محمد يعقوب الكليني. (١٤٠٧هـ). *الكافي* (الإصدار ط٤). (علي أكبر غفاري، المحرر) طهران: دار الكتب الإسلاميّة.

٣٣. مصطفى حسيبة. (٢٠٠٩م). *المعجم الفلسفي* (الإصدار ط١). الاردن: دار اسامة.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

٣٤. ناصر مكارم الشيرازي. (١٤٣٤هـ). *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل*. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

٣٥. يحيى حسين البحراني. (١٤٣٠هـ). *بهجة الخاطر ونُزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحيّة* (الإصدار ط٢). (امير رضا عسكري، المحرر) مجمع البحوث الإسلامية.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

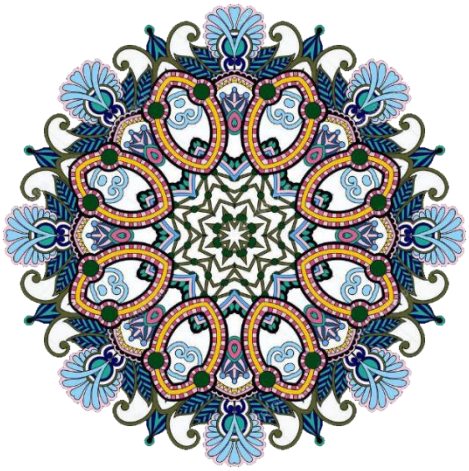

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i50.19624

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي